حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

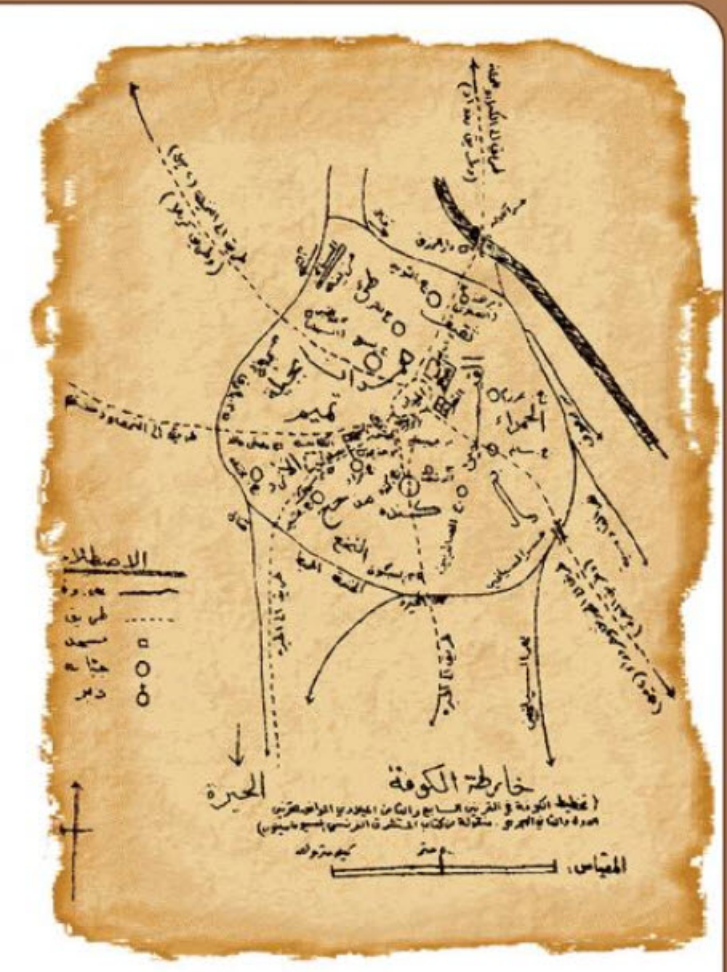

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

كتاب فضل الكوفة وفضل أهلها للعلوي الكوفي

العلامة الشّيخ محمّد حسن آل ياسين

(١)

من نوادر المخطوطات الّتي تضمها دار الكتب الظّاهرية بدمشق - وما أكثر نوادرها - كتاب ربما كان فريد النّسخة، سماه مؤلفه (كتاب فضل الكوفة وفضل أهلها)، وجاء في صدر صفحته الأولى أنّه الجزء الأوّل، ويظهر من السّماع المثبت في آخر الكتاب أنّه في عدّة أجزاء، وإن كنا لم نعثر على غير هذا (الأوّل) حتّى اليوم[١].

وموضوع الكتاب كما يعلم الباحثون مهم جداً في عالم الدّراسات التّاريخية والجغرافية والخططية، لأنّه يعنى بالحديث عن بلدة عربية إسلامية عريقة، كانت في يومٍ ما عاصمة الدّولة الإسلامية، ومركز إشعاع روحي وفكري دفاق، وقاعدة ثورات وانتفاضات وحركات هزت العالم الإسلامي هزاً خلال القرنين الأوّلين من الهجرة.

وعلى الرّغم من أنّ هذا الكتاب لم يكن في بابه، فقد سبقه إلى الحديث عن الكوفة عدد من المؤلفات، فإنّ مؤلف «فضل الكوفة» قد استفاد كثيراً من تلك الكتب وروى عن بعض مؤلفيها بالاسم والتّعيين، وبذلك نستطيع القول بأنّه قد أفادنا بعض الشّيء في معرفة أسلوب البحث ومنهجه في تلك الكتب السّابقة المفقودة اليوم.

وخلال مراجعة المصادر المعنية بالرّجال والمؤلفين وقفت على أسماء عدّة كتب تُعنى بالكوفة، صنفت قبل عصر مؤلف (فضل الكوفة)، أدرجها في أدناه بحسب التّسلسل التّاريخي لوفيات مؤلفيها، لنعرف - ولو بشكل مجمل جداً - بعضاً أو شيئاً من مصادر هذا الكتاب:

١- خطط الكوفة.
٢- ولاة الكوفة.
٣- قضاء الكوفة والبصرة.
٤- فخر أهل الكوفة على أهل البصرة.
كلها من تأليف الهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ[٢].
٥- فضل الكوفة: لعلي بن الحسن بن فضال المتوفى سنة ٢٢٤هـ[٣].
٦- فضل الكوفة ومن نزلها من الصّحابة: لإبراهيم بن محمّد بن سعيد الثّقفي المتوفى سنة ٢٨٣هـ[٤].
٧- فضل قم والكوفة: لسعد بن عبد الله القمّي المتوفى سنة ٣٠١هـ أو ٢٩٩هـ[٥].
٨- الكوفة: لمحمّد بن بكران بن عمران الرّازي، أبي جعفر[٦].
٩- فضل الكوفة: لأبي جعفر محمّد بن أحمد بن خاقان النّهدي القلانسي[٧].
١٠- فضل الكوفة: لأحمد بن محمّد بن سعيد بن عبد الرّحمن، المعروف بابن عقدة، المتوفى سنة ٣٣٣هـ[٨].
١١- المزار وفضل الكوفة ومساجدها: لأبي محمّد جعفر بن الحسين بن علي القمّي المتوفى سنة ٣٤٠هـ[٩].
١٢- فضائل الكوفة: لمحمّد بن علي الفضل بن تمام الدّهقان، كان حياً سنة ٣٤٠هـ[١٠].

(١) يقع المخطوط موضوع البحث ضمن المجموع الّذي يحمل الرّقم (٩٣)، من ورقة٢٨٢ إلى ورقة٣٠٨، وهو الكتاب الحادي عشر في المجموع، وليس فيه تاريخ للنسخ، ولكن السّماع في آخره مؤرخ بسنة ٤٧٤هـ

(٢) فهرست ابن النّديم: ١١٢.
(٣) رجال النّجاشي: ١٨٢ (وسماه الكوفة) وفهرست الطّوسي: ٩٢ ومعالم العلماء: ٥٧.
(٤) رجال النّجاشي: ١٣ وفهرست الطّوسي: ٥ ومعالم العلماء: ٢.
(٥) رجال النّجاشي: ١٢٦ وفهرست الطّوسي: ٧٦ ومعالم العلماء: ٤٧.
(٦) رجال النّجاشي: ٢٨٠.
(٧) رجال النّجاشي: ٢٤٠.
(٨) رجال النّجاشي: ٦٩ وفهرست الطّوسي: ٢٨ ومعالم العلماء: ١٤.
(٩) رجال النّجاشي: ٨٩.
(١٠) فهرست ابن النّديم: ١٢٢ ورجال النّجاشي: ٢٧٢ (وسماه الكوفة).

١٣- تاريخ الحسن محمّد بن جعفر بن محمّد بن هارون التّميمي المتوفى سنة ٤٠٢هـ[١].

(٢)

أمّا المؤلف:

- أبو عبد الله، محمّد بن علي بن الحسن بن عبد الرّحمن، العلوي، الحسني، الكوفي.

- كان يُعرف بالحديث، ولقّبه بعضهم «مسند الكوفة»، ووصفه أحد مترجميه بالصّلاح، وقد روى عن طائفة من الشّيوخ كان من أبرزهم:

أحمد بن عبد الله بن الخضر، أبو الحسين، السّوسنجردي، المعدل، المتوفى سنة ٤٠٢هـ.

زيد بن جعفر بن محمّد حاجب، أبو الحسين، الخزاز، من رجال القرن الخامس.

علي بن سهل بن محمّد بن أبي حيان، أبو الحسن، التّيمي، الكوفي، كان في بغداد سنة ٣٧٩هـ.

علي بن محمّد بن ينال، أبو الحسن، العكبري، المتوفى سنة ٣٧٦ أو ٣٧٨هـ.

محمّد بن جعفر بن محمّد، التّميمي، المتوفى سنة ٤٠٢هـ صاحب (تاريخ الكوفة) المارّ الذّكر.

محمّد بن الحسين بن جعفر بن المفضل، أبو الطّيّب، التّيملي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ.

محمّد بن عبد الله بن الحسين، أبو عبد الله، الجعفي، القاضي، المتوفى سنة ٤٠٢هـ[٢].

- له من المؤلفات:

١- كتاب «التّعازي»: «في ذكر ما يتعلق بالتّعزية والتّسلية، مبتدئاً فيه بذكر وفاة النّبيﷺ وما قاله عند موت أولاده»[٣].

٢- كتاب «فضل زيارة الحسين عليه السلام»[٤].

٣- كتاب «فضل الكوفة وفضل أهلها»[٥]: وهو الّذي نتحدث عنه في هذه الصّفحات، ويبدو أنّ هذا الكتاب قد حظي باهتمام العلماء وتقديرهم فقد روى عنه السّيد النّقيب عبد الكريم آل طاووس في كتابه «فرحة الغري»: ٢٠ و ٤٧ والحافظ الشّيخ سليمان القندوزي في كتابه ينابيع المودة: ٤٤٩.

- توفي (رحمه الله) في ربيع الأوّل، سنة ٤٤٥[٦].

(٣)

ونعود الآن - بعد هذا التّمهيد - إلى الحديث عن الكتاب نفسه، لنكون على علم به وبما تضمنه من مطالب، وما عرضه مؤلفه في ثناياه من أخبار وأفكار وتواريخ.

لقد رتب المؤلف فصول هذا الجزء أو أبوابه على التّفصيل الآتي كما هو مدون في الصّفحة الأولى منه:

١- ذكر النّبيﷺ للكوفة.

٢- وشراء إبراهيم الخليل عليه السلام لظهر الكوفة.

٣- وشراء علي عليه السلام لظهر الكوفة.

٤- وأنّه يحشر منها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب.

٥- وفضل أرض الكوفة واختيار الملوك سكناها لصحة هوائها وطيب تربتها وصحة الأبدان فيها.

٦- ومدح علي عليه السلام للكوفة وأهلها.

٧- قول عمر في تفضيل أهل الكوفة.

٨- قول سلمان في فضل الكوفة وأهلها.

٩- قول حذيفة بن اليمان في فضل الكوفة وأهلها.

١٠- قول الحسن والحسين وعلي بن الحسين في فضل الكوفة وأهلها.

١١- قول محمّد بن الحنفية في فضل الكوفة وأهلها.

ثم يبدأ الكتاب بما نصه: /٢٨٢ ب/.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ذكر النّبيﷺ الكوفة

أخبرنا الشّريف أبو عبد الله محمّد بن علي بن الحسن بن عبد الرّحمن الحسنيرحمه الله، قال:

أنا أبو الحسين علي بن الحسن بن يحيى العلوي قراءة عليه، قال:

أنا أبو تمّام عبد الله بن أحمد بن عبيد الأنصاري المؤدب، قال:

أنا أبو سعيد عبيد بن كثير العامري التّمار[٧]، قال:

أنا محمّد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي[٨]، قال:

(١) تاريخ بغداد: ٢/ ١٥٨ ومعجم الأدباء: ١٨/ ١٠٣- ١٠٤، ونقل عنه ياقوت في معجم الأدباء أيضاً: ١٤/ ١٥٤ وسماه الكوفة.

(٢) يراجع في أسماء شيوخه كتابه (فضل الكوفة)، ويراجع في تواريخ وفيات من ذكرنا في أعلاه: تاريخ بغداد: ٢/ ٢٤٥ و ٤/ ٢٣٧ و ٥/ ٤٧٣ و ١١/ ٤٣١ و ١٢/ ٨٨ وشذرات الذّهب: ٣/ ٩٣ والنّابس: ٨٢.

(٣) الذّريعة: ٤/ ٢٠٥.

(٤) النّابس: ١٧١.

(٥) الذّريعة: ١٦/ ٢٧٢.

(٦) يراجع في ترجمة المؤلف: المنتظم: ٩/ ١٨٩ وشذرات الذّهب: ٣/ ٢٧٤ والنّابس: ١٧٠- ١٧١، كما يراجع في ترجمة والده: النّابس: ١١٨- ١١٩.

(٧) له ذكر في لسان الميزان: ٤/ ١٢٣، ولم يشر إلى سنة وفاته.

(٨) ت ٢٦٠هـ تهذيب التّهذيب: ٩/ ٥٩.

أنا محمّد بن فُضَيل الضّبّي[1]، عن محمّد بن سوقة[2]، عن إبراهيم النّخعي[3]، عن علقمة[4] والأسود[5]، عن عبد الله بن مسعود[6]، قال:

قال رسول الله ﷺ: يا ابن مسعود، لما أسري بي إلى السّماء الدّنيا أراني جبريل مسجد كوفان، فقلت: يا جبريا ما هذا؟ قال: هذا مسجد مبارك كثير الخير عظيم البركة اختاره الله لأهله، وهو يشفع لهم يوم القيامة، وذكر الحديث بطوله في فضل مسجد الكوفة.

/٢٨٣ أ/ أنا محمّد بن عبد الله الجعفي قراءة، قال [بسنده]... عن عمر بن علي بن أبي طالب، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ذكر رسول الله ﷺ الكوفة، فقلت: وما الكوفة يا رسول الله؟ قال: أرض تفتتحها أمتي من بعدي.

ومما جاء في الكتاب من طرائف وفوائد وقصص وأساطير:

/٢٨٤ ب/ روى المؤلف عن إبراهيم الخليل عليه السلام قصة طويلة جاء في أثنائها: أنّ إبراهيم قد خاطب سكان تلك الأرض قائلاً: «بيعوني أرضكم هذه - يعني ظهر الكوفة- ، فقالوا: هي لك، ما ملكنا أرضاً هي أقل خيراً منها... فاشتراها منهم...».

/٢٨٦ أ/ أخرج المؤلف بسنده عن عقبة بن علقمة أبي الجنوب قال: «اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة من الدّهاقين، وأشهد على شرائه».

وفي الصّفحة نفسها: أخرج بسنده عن علي بن الحسن بن إسماعيل بن صبيح البزاز قال: «سمعت بشر بن عبد الوهاب القرشي مولى بني أمية -وكان صاحب فضل وخير، وكان ينزل دمشق- ذكر أنّه قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلثي ميل، وذكر أنّ فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة عشر ألف دار لسائر العرب، وستة وثلاثين ألف دار لليمن، أخبرني بذلك سنة أربع وستين ومائتين».

/٢٨٨ أ- ٢٨٨ ب/ وأخرج المؤلف بسنده عن محمّد بن يوسف قال: «من فضل الكوفة أنّ ملوك العرب والعجم في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام، حين طافوا الآفاق، واختاروا البلاد، اختاروا منازل كلها كوفية أو قريبة من الكوفة».

«منها: الأنبار، نزلها دارا بن دارا وجذيمة الأبرش ومن كان في عصرهما من الملوك».

«ومنها: مدينة بابل، نزلها بخت نصر ومن كان قبله وبعده من الملوك».

«ومنها: مدائن كسرى، نزلها أردشير بن بابك ومن بعده من ملوك فارس إلى يزدجرد، إلاّ أن يخرج الرّجل منهم متنزهاً إلى بعض بلاد الجبل، فيتصيد بها ويتصيف ثمّ يرجع إلى مملكته بالمدائن».

«ومنها: الخورنق، نزلها النّعمان ابن شقيقه[7] ومن كان في دهرهما من ملوك الحيرة، نزلها عمرو بن عدي بن نصر وولده بعده، إلى عمرو وقابوس ابني هند، والمنذر، والنّعمان بن المنذر، وإياس بن قبيصة الطّائي، حتّى جاء الله بالإسلام، وتحقيق ما ذكرنا من نزول الملوك بها قول الأسود بن يعفر النّهشلي:

ماذا أؤمّل بعد آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسّدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشّرفات من سنداد
أرض تخيّرها لطيب محلّها ... كعبُ بن مامة وابن أم دوادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطوادِ

زاد ابن قتيبة[8] في هذه الأبيات:

جرت الرّياحُ على رسوم ديارهم[9]
فكأنما كانوا على ميعادِ
فارى النّعيمَ وكلَّ ما يُلهي به
يوماً يصير إلى بلى ونفادِ[10]

/٢٨٩ أ/ وروى المؤلف بسنده عن الأعشى قوله:

«دخلت على النّعمان بن المنذر فأنشدته:

إليك أبيتَ كان كلالها
تروح من الليل التّمام وتغتدي[11]

قال: ثمّ خرج إلى زهر الرّبيع، قال: فمضى حتّى وقف على روضة زهرة أعجبه حسنها وفيها شقائق، فقال: احموها لي، فمن أجل ذلك سمّيت شقائق النّعمان.

---

(١) ت ١٩٥هـ تهذيب التّهذيب: ٩/ ٤٠٦.
(٢) من تابعي التّابعين، المصدر السّابق: ٩/ ٢١٠.
(٣) ت ٩٦هـ المصدر نفسه: ١/ ١٧٨.
(٤) ابن قيس، ت ٦٢هـ شذرات الذّهب: ١/ ٧٠.
(٥) ابن هلال، ت ٨٤هـ تهذيب التّهذيب: ١/ ٣٤٣.
(٦) ت ٣٢هـ شذرات الذّهب: ١/ ٣٨.

(٧) كذا في الأصل: ولعله من سهو القلم، وربما كان المقصود جذيمة الأبرش الّذي آل ملكه إلى ابن أخته عمرو بن عدي كما في معجم البلدان: ٣/ ٣٧٩.
(٨) الشّعر والشّعراء: ١/ ١٧٧.
(٩) في الشّعراء: «على محل ديارهم».
(١٠) ديوان الأسود بن يعفر: ٢٦- ٢٨.
(١١) ورد البيت في ديوان الأعشى: ١٣٢ بالنّص الآتي:
إليك أبيت اللعن كان كلاهما إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد

وأخرج في الصّفحة نفسها بسنده عن ابن شبرمة قوله:

«حدثني طبيب ابن هبيرة قال: نومة بالحيرة تعدل شربة دواء».

/٢٨٩ ب- ٢٩٠ أ/ وأخرج المؤلف بسنده عن الهيثم بن عدي الطّائي قال: «أنا المجالد بن سعيد وعبد الله بن عياش، عن الشّعبي - وحديث ابن عياش أتمهما- قال:

«لما نزل المسلمون المدائن أجموها وكرهوها ولم توافقهم، فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر: إنّ العرب لا تصلح إلاّ حيث تصلح الإبل، فارتد لهم منزلاً، قال الهيثم:... فبعث سعد برادة يرتادون، فانتهوا إلى كويفة ابن عمر- قال الهيثم: فقلتُ لابن عياش: أي كويفة ابن عمر؟ قال: بزيقيا، قال قلت: وأي شيءٍ الكوفة؟ قال: كل أرض خصبة أطاف بها الماء من كل نَاحية فهي كويفة- فإذا الماء محيط بها، فمضوا وتركوها، حتّى أتوا الكوفة- وكان ظهر الكوفة يقال له خد العذراء ينبت الشّيح والخزامى والأقحوان- فكتبوا إلى سعد: إنّا قد وجدنا ظهراً طرفه في البحر وطرفه في البر وهو حيث تصلح الإبل، فكتب سعد إلى عمر، فكتب عمر إليه أنْ حولهم إليه، فاختط النّاس الكوفة، ورحل النّاس عن المدائن إلى الكوفة».

/٢٩٠ ب- ٢٩١ أ/ قال المؤلف: «رجع الحديث إلى مجالد وابن عياش عن الشّعبي قال:

«وإنّما مصِّرت الكوفة على مذحج وهمدان، وكان النّاس دخلاء فيهم. قال الهيثم: فقلت لابن عياش: وأخبرني عن شأن هذه القبائل من العرب؟ فقال: قدم جُلّ هؤلاء في زمن عثمان، فاختط النّاس، والمنازل يومئذ بين الدّارين موضع خمسة أذرع، إلاّ أنّ القبيلة بأسرها يكونون في موضع واحد. فقلت لابن عياش: فما بال دور هذه المُضَرِيَّة أوسع من دور أصحابنا؟ قال: يا ابن أخ، لسوء الأخلاق، قال: كان الرّجل من أهل اليمن يختط الخطة، فيقدم عليه ابن عمّه، فيضيق على نفسه ويوسع له، ولا يدعه يختط في موضع آخر. فقلت: ما بال مساجدهم كثيرة ومساجد أصحابنا [قليلة] و [في][1] الحي من أحيائنا -منهم خمسة أحياء- مسجد واحد؟ قال: كان -والله- مسجد الأشعث بن قيس لكندة كلّها، ومسجد جرير لبجيلة كلّها، ومسجد بني سنبس لطيءٍ كلّها، وإنّما كثرت مساجد الآخرين لضيق الأخلاق».

(١) زيادة يستدعيها السّياق.

/٢٩١ أ/ وفي رواية أخرى أخرجها المؤلف بسنده عن حصين بن عبد الرّحمن قال:

«إنّ سعداً لمّا افتتح القادسية، وقد كان نزل سعد المدائن فاجتووها وكرهوها، وبلغ عمر بن الخطاب فسأل: أتصلح بها الإبل؟ قالوا: لا، إنّ بها البعوض، قال عمر: فإنّ العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل، فرجعوا إلى الكوفة، فلقي سعد بن أبي وقاص عباديّاً من العباديين فقال: أنا أدلكم على أرض تطاطأت عن الثّلجة وارتفعت عن البقة وتوسطت الرّيف وطعنت في أنف البرية، قالوا: فأين ذلك؟ قال: بين الفرات والحيرة، فإذا هي الكوفة، فنزلوها.

ثمّ سار عتبة بن غزوان من عند سعد، فاختط البصرة وافتتح الأبلّة.

«فأمّا الواقدي فذكر أنّه لمّا دخلت سنة سبع عشرة بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان على البصرة، وكان هو الّذي بصر البصرة واختط منازلها وبنى مسجدها بقصب».

«وفي هذا الحديث دليل على أنّ الكوفة أقدم من البصرة».

/٢٩١ ب/ وأخرج بسنده عن حصين بن عبد الرّحمن قوله:

«إنّ سعداً حصر المشركين بالمدائن، فلمّا انهزموا لحقهم بجلولاء، وكان على مقدمته هاشم بن عتبة، ثمّ رجع فنزل الكوفة، فلمّا بعث عمّار بن ياسر سار بالنّاس إلى المدائن، فأراد أن ينزلها بالنّاس، فاجتواها النّاس وكرهوها. وبلغ عمر أنّ النّاس قد اجتووها. فبلغنا أنّ عمر سأل: أتصلح بها الإبل؟ قالوا: لا، إنّ بها البعوض، قا[ل: ا][2] نّ العرب لا تصلح إلاّ بأرض تصلح بها الإبل. فرجعوا إلى الكوفة، فلقي سعد بن أبي وقاص عبادياً من العباديين فقال: أنا أدلكم على أرض تطاطأت عن الثّلجة وارتفعت عن البقة وتوسطت الرّيف وطعنت في أنف البرية، قالوا: فأين ذلك؟ قال: بين الحيرة والفرات، قال: فإذا هي الكوفة، فنزلوها».

/٢٩٢ أ/ وأخرج بسنده عن الشّعبي حديثاً طويلاً جاء فيه أنّ الخليفة عمر بن الخطاب﵁ كتب إليهم: «ابنوا بالقصب، واتقوا النّار أن تدنوها منه»، «ثمّ أصاب النّاس بالكوفة حريق عظيم، فبلغ عمر وكتب إليهم: ابنوا باللّبن ولا تطبخوه».

(٢) زيادة يستدعيها السّياق.

ثمّ أخرج بسنده عن سفيان قوله: «أوّل من بنى بالكوفة بالآجر خباب بن الأرت وعبد الله بن مسعود».

/٢٩٢ أ/ وأخرج بسنده عن الشّعبي قال:

«وفد أبو موسى[١] وفداً من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب، فيهم الأحنف بن قيس، فلمّا قدموا على عمر تكلم كلّ رجل منهم في خاصة نفسه. وكان الأحنف في آخر القوم: فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على سيدنا النّبيّ ﷺ، ثمّ قال:

أمّا بعد يا [أ] مير المؤمنين: فإنّ أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه، وإنّ أهل الشّام نزلوا منازل قيصر، وإنّ أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار العذبة والجنان المخصبة، وفي مثل عين البعير وكالحوار في السّلى[٢]، تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ[٣].

وإنّ أهل البصرة نزلوا سبخة زعقة نشاشة، لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها، طرفها في بحر أجاج، والطّرف الآخر في الفلاة، لا يأتينا شيء إلاّ في مثل مريء النّعامة، فارفع خسيستنا، وأنعش ركيستنا، وزد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وأصغر درهمنا وأكبر قفيزنا، ومر لنا بنهرٍ نستعذب منه الماء. فقال عمر: عجزتم أن تكونوا مثل هذا، هذا -والله- السّيد».

/٢٩٢ ب/ وأخرج بسنده عن لوط بن يحيى، قال:

«إنّ الأحنف بن قيس لمّا قدم الكوفة مع مصعب بن الزّبير، فينا هو ذات يوم في المسجد الأعظم إذ نظر إلى الكوفة ثمّ نظر إلى النّخل فقال: يا أهل الكوفة، ما أطيب محلتكم وأحسنها، وأقرب باديتكم من حاضرتكم، كأنّكم بالنّاس قد انهالوا عليكم، فإذا كان ذلك فامنعوها وكونوا رجالاً».

ثمّ دعا بدابته فركب مع إخوان له، فأتى ظهر الكوفة يسير به ساعة ثمّ قال: ما رأيت شيئاً أطيب، اللّهم اجعل قبري بها، ولا تري يا أهل العراق ذلاً أبداً ولا غدراً. ثمّ انصرف فلم يلبث أن مات. فقبره اليوم بالكوفة».

/٢٩٤ أ/ وأخرج بسنده عن ابان بن تغلب عن الأصبغ بن نباتة عن علي ﷺ قوله:

«الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء. والّذي نفس عليٍّ بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها، كما انتصر بالحجارة».

(١) الخبر بهذا المضمون في تاريخ الطّبري: ٤/ ٧٥.

(٢) في الأصل: وكالجوار في السّلا، ولعلّ الصّواب ما أثبتناه.

(٣) كذا في الأصل، وفي الطّبري: فتأتيهم ثمارهم ولم تخضد.

/٢٩٥ ب/ وأخرج بسنده عن ابن علقمة قوله:

«لمّا قدم علي ﷺ الكوفة، إذا بيت المال مملوء ذهباً وفضة، فقال:

أنعمْ صباحاً وأسلمي يا كوفةْ[٤]

أرضٌ سواءٌ سهلة معروفةْ

تعرفها جمالنا العلوفةْ

يا صفراء يا بيضاء، غُري غيري، ثمّ دعا بالأسباع فقسم، حتّى بلغ أن قسم الحبال، ثمّ كنس ونضح وصلى فيه ودعا الله جل وعز.

/٢٩٦ أ/ وأخرج بسنده عن حسان بن مهران قال:

«سمعت جعفر بن محمّد يقول: قال علي بن أبي طالب: مكة حرم الله، والمدينة حرم رسول الله، والكوفة حرمي، والّذي نفسي بيده لا يريدها جبار بجارفة إلاّ قصمه الله».

/٢٩٧ أ/ «كان أمير المؤمنين علي ﷺ يأتي النّجف ويقول: وادي السّلام ومجتمع أرواح المؤمنين، ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان. وكان يقول: اللهم اجعل قبري بها».

ومما أخرجه بسنده عن حبة العرني قوله:

/٢٩٨ أ/ «إنّ عمر بن الخطاب كان يقول يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب ودماغها، وأنتم سهمي الّذي في كنانتي الّذي أرمي به أن جاءني شيء من ها هنا أو من ها هنا، وإنّي بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وآثرتكم بعبد الله على نفسي... وهما من النّجباء من أصحاب محمّد ﷺ فأحسنوا مؤازرتهما».

/٢٩٨ ب/ وأخرج بسنده عن عبد الله بن أبي الهذيل قال:

«إنّ وفد أهل الكوفة قدموا على عمر، فقال عمر: يا أهل الكوفة، أنتم كنز الإسلام، إن أستمدكم أهل البصرة أمددتموهم، وإن أستمدكم أهل الشّام أمددتموهم، ثمّ جعل عمر يرجل لزيد بن صوحان بيده ويقول: يا أهل الكوفة، هكذا فاصنعوا بزيد».

/٢٩٩ أ/ وأخرج بسنده عن حارثة بن مضرب قال:

«كتب عمر إلى أهل الكوفة: إنّي قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً -وقال مرةً: مؤدباً ووزيراً- وهما من النّجباء من أصحاب محمّد ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي».

(٤) وفي معجم البلدان: ٧/ ٢٩٩«يا حبذا مقالنا بالكوفة».

/٢٩٩ ب- ٣٠٠أ/ وأخرج بسنده عن جندب الأزدي قوله:

«أقبلتُ مع سلمان من الحيرة، حتّى إذا أتى على القبور التفت عن يمينه فقال: السّلام عليكم أهل الدّيار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثمّ التفت عن شماله فقال مثل ذلك، ثمّ التفت إلى الكوفة فقال: أرى قبة الإسلام، ما من أخصاص يدفع عنها ما يدفع عن هذه الأخصاص، إلاّ أخصاصاً كان فيها محمّدﷺ، ولا تذهب الدّنيا حتّى يجتمع فيها كل مؤمن، أو هواه فيها».

/٣٠٤ ب/ وأخرج بسنده عن سالم بن أبي الجعد قوله:

«قال حذيفة [يعني: ابنَ اليمان]: الكوفة قبَّة الإيمان وأرض البقيَّة».

(٤)

ولا يفوتني في الختام أن أشير إلى سطور وردت في الكتاب زادت في نفاسة هذه النّسخة وقيمتها، وأعني بها تلك السّماعات الّتي كتبها أصحابها بخطوطهم توثيقاً للنص وتأكيداً لصحته.

فقد ورد في /٢٩١ أ/: «سمعت من أوّله من لفظ الشّيخ أبي الغنائم محمّد بن علي بن [ميمون][1] النّرسي... وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع [و] سبعين [وأربعمائة][2].

وجاء في /٣٠٧ ب/: «سمعت من البلاغ من لفظ الشّيخ أبي الغنائم محمّد بن علي بن [ميمون] النّرسي، عن السّيد أبي عبد الله... وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين وأربعمائة، وكتب صاحبه عمر بن إبراهيم بن محمّد العلوي»[3].

وجاء في /٣٠٨ أ/: «قرأت جميع هذا الجزء وما بعده من الأجزاء إلى آخر الكتاب، على الشّيخ الصّالح أبي طالب المبارك بن علي بن خضير الصّيرفي[4]، في مجالس عدة آخرها يوم الثّلاثاء عاشر رجب من سنة ستين وخمسمائة، وسمع ذلك معي: زوجتي شرف النّساء ابنة أبي طالب أبي طالب ابن المكرم العلوي وأولادي منها محمّد وآمنة وفاطمة... وذلك بروايته عن الحافظ أبي الغنائم محمّد بن علي بن ميمون النّرسي المعروف بأبي[5]، عن مصنفه الشّريف العلامة أبي عبد الله محمّد بن علي بن الحسن بن عبد الرّحمن العلوي الحسني عن شيوخه، وكتب قريش بن السّبيع بن المهنا العلوي الحسيني المدني[6]، حامداً لله، ومصلياً على سيدنا محمّد النّبي وآله وسلم تسليماً، وصح ذلك».

* * *

(١) زيادة يتدعيها النّسب، وقد توفي النّرسي هذا في سنة ٥١٠هـ كما في شذرات الذّهب ٤/ ٢٩.

(٢) كلمة مطموسة صوبناها على السّماع الآتي.

(٣) هو الحافظ المسند المتوفى سنة ٥٣٩هـ كما في شذرات الذّهب: ٤/ ١٢٢.

(٤) ت سنة ٥٦٢هـ شذرات الذّهب ٤/ ٢٠٦.

(٥) لقب بأبي لجودة قراءته، شذرات الذّهب: ٤/ ٢٩.

(٦) ت سنة ٦٢٠هـ تكملة إكمال الإكمال: ٣٢٧.